الأخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرًا وحمل الجرّ على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده، وجوّز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضًا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجرّ والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله، وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله: ﴿إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب قسمي إنّ هؤلاء قوم لا يؤمنون.

فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾.

﴿فاصفح عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم يائسًا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم ﴿وقل﴾ لهم ﴿سلام﴾ أي تسلم منكم ومتاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله ﷺ والضمير في وقيله لرسول الله ﷺ وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه: عن النبي ﷺ من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم، ولا أنتم تحزنون أدخلوا الجنة بغير حساب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الدخان مكية

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾.

الواو في ﴿والكتاب﴾ واو القسم إن جعلت حم تعديدًا للحروف أو اسمًا للسورة مرفوعًا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسمًا بها.

إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾.

وقوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ جواب القسم، والكتاب المبين القرآن، والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة، وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصكّ أن البندار إذا استوفي الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة، وقيل: هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم، وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله ﷺ: من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان[1]، ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام: إنّ الله يرحم، أمّتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب[2]، وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام: إنّ الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين، أو مصرّ على الزنا[3] وما أعطى فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمّته فأعطى الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير[4]، ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أنّ المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾[5] ولمطابقة قوله ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ لقوله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾[6] وقوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾[7] وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان.

فإن قُلْتَ: ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة؟ **قُلْتُ:** قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا نجومًا.

فإن قُلْتَ:

﴿إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ ما موقع هاتين الجملتين؟ **قُلْتُ:** هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسربهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾[8] كأنه قيل: أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصًا لأنّ إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة

---

(1) قال الزيلعي: رواه سليم بن أيوب الرازي في كتاب: الترغيب، ورواه محمد بن ناصر السلامي في كتاب: فضائل شعبان، وفي الفردوس، الزيلعي: 3/261.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: الصوم، باب: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، (الحديث: 739)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الإقامة، باب: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، (الحديث: 1389).

(3) أخرجه ابن حبان في كتاب: الحظر والإباحة، باب: ما جاء في= = التباغض والتحاسد، (الحديث: 5665).

(4) قال الزيلعي غريب: 3/266.

(5) سورة القدر، الآية: 1.

(6) سورة القدر، الآية: 4.

(7) سورة البقرة، الآية: 185.

(8) سورة الدخان، الآية: 3.

مفرق كل أمر حكيم، والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة، ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة، وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت، وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ نفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عزّ وجلّ، وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه تفرق بالنون كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأنّ الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز.

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾.

﴿أمرًا من عندنا﴾ نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً فخما بأن وصفه بالحكيم، ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمرًا حاصلاً من عندنا كائنًا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا، ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي ثم إما أن يوضع موضع فرقانًا الذي هو مصدر يفرق؛ لأنّ معنى الأمر والفرقان واحد من حيث أنه إذا حكم بالشيء وكتبه، فقد أمر به وأوحيه أو يكون حالاً من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير الفاعل أي أنزلناه آمرين أمرًا، أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرًا من عندنا بما يجب أن يفعل.

فإن قُلْتَ: ﴿إنا كنا مرسلين﴾ ﴿رحمة من ربك﴾ بم يتعلق **قُلْتُ:** يجوز أن يكون بدلاً من قوله: ﴿إنا كنا منذرين﴾ و﴿رحمة من ربك﴾ مفعولاً له على معنى: إنا أنزلنا القرآن لأنّ من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، وأن يكون تعليلاً ليفرق أو لقوله: **﴿أمرًا من عندنا﴾** ورحمة مفعولاً به وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها في قوله تعالى: ﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾[1] أي: يفصل في هذه الليلة كل أمر أو نصدر الأوامر من عندنا لأنّ من عادتنا أن نرسل رحمتنا، وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة، وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعلا لأنّ الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذانًا بأنّ الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين، وفي قراءة زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص، وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بأنها مفعول له **﴿إنه هو السميع العليم﴾** وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه.

رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾.

وقرئ: **﴿رب السموات ربكم ورب آبائكم﴾** بالجر بدلاً من ربك.

فإن قُلْتَ: ما معنى الشرط الذي هو قوله: **﴿إن كنتم موقنين﴾؟ قُلْتُ:** كانوا يقرون بأن للسموات والأرض ربًا وخالقًا فقيل لهم إنّ إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب، ثم قيل إن هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان كما تقول: إنّ هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاؤه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته، ثم ردّوا أن يكونوا موقنين.

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾.

بقوله: **﴿بل هم في شك يلعبون﴾** وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جدّ وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب.

فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾.

﴿يوم تاتي السماء﴾ مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته، واختلف في الدخان، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أُوقِدَ فيه ليس فيه خصاص، وعن رسول الله ﷺ أوّل الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلا المحشر قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله ﷺ الآية[2]، وقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره، وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام[3]، ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصًا عند أبواب كندة يقول: إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق

---

(1) سورة فاطر، الآية: 2.

(2) رواه الطبري في تفسيره، الزيلعي: 3/266.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، ومن سورة حم الدخان، باب: «يوم تبطش البطشة الكبرى...» (الحديث: 4825).

فقال: من علم علمًا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم؛ فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال: ألا، وسأحدثكم أنّ قريشًا لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف[1]، فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدّث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم واعدوه إن دعا لهم، وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم ﴿**بدخان مبين**﴾ ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان.

يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾.

﴿**يغشى الناس**﴾ يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة لدخان و﴿**هذا عذاب**﴾ إلى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أي قائلين ذلك.

رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾.

﴿**إنا مؤمنون**﴾ موعدة بالإيمان إن كشف عنهم العذاب.

أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾.

﴿**أنى لهم الذكرى**﴾ كيف يذكرون، ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب ﴿**وقد جاءهم**﴾ ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادّكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات، فلم يذكروا.

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾.

وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسًا غلامًا أعجميًا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه إلى الجنون.

إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾.

ثم قال: ﴿**إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون**﴾ أي: ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال.

فإن قُلْتَ: كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله: إنا كاشفوا العذاب قليلاً؟ **قُلْتُ:** إذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار، والمنافقين وغوثوا وقالوا: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يومًا، فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون.

يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾.

ثم قال: ﴿**يوم نبطش البطشة الكبرى**﴾ يريد يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾[2] ﴿**إنا منتقمون**﴾ أي ننتقم منهم في ذلك اليوم.

فإن قُلْتَ: بم انتصب يوم نبطش **قُلْتُ:** بما دل عليه إنا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون، لأنّ إن تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء، وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم، وقيل البطشة الكبرى يوم بدر.

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾.

وقرئ: ﴿**ولقد فتنا**﴾ بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم، ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببًا في ارتكابهم المعاصي، واقترافهم الآثام أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الإيمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم ﴿**كريم**﴾ على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لأنّ الله لم يبعث نبيًا إلا من سراة قومه وكرامهم.

أَنْ أَدُّوٓا إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾.

﴿**إن أدوا إليّ**﴾ هي أن المفسرة لأن مجيء الرسول من بعث إليهم متضمن لمعنى القول: لا يجيئهم إلا مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله أو المخففة من الثقيلة، ومعناه: وجاءهم بأن الشأن والحديث أدّوا إلى ﴿**وعباد الله**﴾ مفعول به وهم بنو إسرائيل يقول أدّوهم إلى وأرسلوهم معي كقوله تعالى: ﴿أرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم﴾[3] ويجوز أن يكون نداء لهم على أدوا إليّ يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بأنه ﴿**رسول أمين**﴾ غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته.

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾.

﴿**وأن لا تعلوا**﴾ أن هذه مثل الأولى في وجهيها أي: لا تستكبروا ﴿**على الله**﴾ بالاستهانة برسوله ووحيه، أو لا تستكبروا على نبيّ الله ﴿**بسلطان مبين**﴾ بحجة واضحة.

وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾.

﴿**أن ترجمون**﴾ أن تقتلون، وقرئ: ﴿**عذت**﴾ بالإدغام ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: يهوي بالتكبير حين يسجد (الحديث: 804). وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة والعياذ بالله (الحديث: 295/675). = وأخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: القنوت في الصلاة (الحديث: 1442).

(2) سورة النازعات، الآية: 34.

(3) = سورة طه، الآية: 47.

كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل.

وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾.

﴿فاعتزلون﴾ يريد إن لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمنوا فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصلة عني أي: فخلوني كفافًا لا لي ولا عليّ ولا تتعرّضوا لي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلا حكم ذلك.

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾.

﴿أن هؤلاء﴾ بأنّ هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل: كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾، وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ إن هؤلاء بالكسر على إضمار القول أي فدعا ربه فقال إن هؤلاء.

فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾.

﴿فاسر﴾ قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان إضمار القول بعد الفاء، فقال: أسر بعبادي وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فاسر **﴿بعبادي﴾** يعني: فاسر ببني إسرائيل، فقد دبر الله أن تتقدّموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدّمين ويغرق التابعين، الرهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى:

يمشي رهوًا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل

أي مشيًا ساكنًا على هينة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه، فانفلق فأمر بأن يتركه ساكنًا على هينة قارًا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه، ولا يغير منه شيئًا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثاني أنّ الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملاً فالجًا، فقال: سبحان الله وهو بين سنامين أي اتركه مفتوحًا على حاله منفرجًا.

وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾.

﴿إنهم جند مغرقون﴾، وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم.

وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾.

والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر.

وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾.

والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الإنعام، وقرئ فاكهين وفكهين.

كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾.

﴿كذلك﴾ الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها **﴿وأورثناها﴾** أو في موضع الرفع على الأمر كذلك **﴿قومًا آخرين﴾** ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو إسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم.

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾.

إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله ﷺ ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقال جرير:

تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية: أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه، وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الأرض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل، ونفي ذلك عنهم في قوله تعالى: **﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾** فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه: بكت عليه السماء والأرض، وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني: فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض **﴿وما كانوا منظرين﴾** لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر، ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا.

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾.

﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابًا مهينًا لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم، ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعًا من جهة فرعون، وقرئ من عذاب المهين، ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون، وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدّة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوّه وشيطنته؟ ثم عرف حاله في ذلك بقوله: **﴿إنه كان عاليًا من المسرفين﴾** أي كبيرًا رفيع الطبقة ومن بينهم فائقًا لهم بليغًا في إسرافه، أو عاليًا متكبرًا كقوله تعالى: إنّ فرعون علا في الأرض، ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل إنه كان متكبرًا مسرفًا الضمير.

وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾.

في **﴿اخترناهم﴾** لبني إسرائيل و **﴿على علم﴾** في موضع الحال أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا، ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بأنهم يزيغون

ويفرط منهم الفرطات في بعض الأحوال ﴿على العالمين﴾ على عالمي زمانهم، وقيل على الناس جميعًا لكثرة الأنبياء منهم.

وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْأَيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾.

﴿من الآيات﴾ من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ﴿بلاء مبين﴾ نعمة ظاهرة لأنّ الله تعالى يبلوا بالنعمة كما يبلو بالمصيبة، أو اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله تعالى: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾[1].

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾.

﴿هؤلاء﴾ إشارة إلى كفار قريش. فإن قُلْتَ: كان الكلام واقعًا في الحياة الثانية لا في الموت[2] فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين كما قيل: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ وما معنى قوله:

﴿إن هي إلا موتتنا الأولى﴾ وما معنى نكر الأولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى؟ قُلْتُ: معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم: أنكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدّمتكم موتة قد تعقبها حياة وذلك قوله عزّ وجل: ﴿وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾[3] فقالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التي من شانها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة فلا فرق إذًا بين هذا وبين قوله إن هي إلا حياتنا الدنيا في المعنى، يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم.

فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾.

﴿فأتوا بآبائنا﴾ خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله ﷺ والمؤمنين أي: إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلاً على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق، وقيل: كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصيّ بن كلاب ليشاوروه؛ فإنه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤن، هو تبع الحميري كان مؤمنًا وقومه كافرين ولذلك ذمّ الله قومه ولم يذمّه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبني سمرقند وقيل: هدمها وكان إذا كتب قال: بسم الله الذي ملك برّاً وبحرًا، وعن النبي ﷺ لا تسبوا تبعًا، فإنه كان قد أسلم[4] وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري أكان تبع نبيًا أو غير نبي[5] وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان نبيًا وقيل نظر إلى قبرين بناحية حمير قال: هذا قبر رضوي وقبر حبي بنت تبع لا تشركان بالله شيئًا وقيل: هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون، وسمى الظل تبعًا لأنه يتبع الشمس.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله تعالى:

﴿أهم خير﴾ ولا خير في الفريقين قُلْتُ: معناه أهم خير في القوّة والمنعة كقوله تعالى: ﴿أكفاركم خير من أولئكم﴾[6] بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أهم أشدّ أم قوم تبع.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾.

﴿وما بينهما﴾ وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾.

وقرأ: ﴿ميقاتهم﴾ بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي: إنّ ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل.

يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾.

﴿لا يغني مولى﴾ أي مولى كان من قرابة أو غيرها ﴿عن مولى﴾ عن أي مولى كان ﴿شيئًا﴾ من إغناء أي قليلاً منه ﴿ولا هم ينصرون﴾ الضمير للموالي لأنهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 49.

(2) قال أحمد: وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين، الأولى: منهما الموت، والأخرى: حياة البعث، أثبتوا الحالة الأولى وهي: الموت، ونفوا ما بعدها وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أنّ لا شيء بعدها؛ لأنهم نزلوا جحدهم على الإثبات، فجعلوها أولى على ما نكرت لهم، وهذا أولى من حمل الموتة الأولى على السابقة على الحياة الدنيا لوجهين أحدهما: أن الاقتصار عليها لا يعتقدونه؛ لأنهم يثبتون الموت الذي يعقب حياة الدنيا، وحمل الحصر المباشر للموت في كلامهم على صفة تنكر لا على نفس الموت المشاهد لهم فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة، الثاني: أن الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالموتة،= فإنّ الموتة فعلة فيها إشعار بالتجدّد والطريان، والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تتقدّمه حياة طرأ عليها هذا، مع أن في بقية السورة قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ وإنما عنى بالموتة الأولى هنا الموت المتعقب للحياة الدنيا فقط، ففيه إرشاد لما ذكرته والله أعلم.

(3) سورة البقرة، الآية: 28.

(4) أخرجه أحمد في المسند 5/340.

(5) أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في التخيير، بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (الحديث رقم: 4674).

(6) سورة القمر، الآية: 43.

إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾.

﴿إلا من رحم الله﴾ في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء **﴿إنه هو العزيز﴾** لا ينصر منه من عصاه **﴿الرحيم﴾** لمن أطاعه.

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾.

قرئ: **﴿إن شجرت الزقوم﴾** بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء، وروي أنه لما نزل ذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم قال ابن الزبعري: إنّ أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فإنّ هذا هو الذي يخوّفكم به محمد فنزل: **﴿إن شجرت الزقوم طعام الأثيم﴾** وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلاً، فكان يقول طعام اليتيم[1] فقال: قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أنّ إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها، ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئًا قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأنّ في كلام العرب خصوصًا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر، وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في إنكار القراءة بالفارسية.

كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾.

﴿كالمهل﴾ قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردى الزيت ويدل عليه قوله تعالى: **﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾**[2] مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس.

كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾.

والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك **﴿تغلى﴾** وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام و **﴿الحميم﴾** الماء الحار الذي انتهى غليانه.

خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾.

يقال للزبانية: **﴿خذوه فاعتلوه﴾** فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يأخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي، وقرئ بكسر التاء وضمها **﴿إلى سواء الجحيم﴾** إلى وسطها ومعظمها.

ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾.

فإن قُلْتَ: هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى: يصب من فوق رؤوسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه! **قُلْتُ:** إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدّته إلا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله: صبت عليه صروف الدهر من صبب. وكقوله تعالى: **﴿أفرغ علينا صبرًا﴾**[3] فذكر العذاب معلقًا به الصب مستعارًا له ليكون أهول وأهيب.

ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾.

يقال: **﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾** على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروى أنّ أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا، وقرئ إنك بمعنى لأنك، وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قرأ به على المنبر.

إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾.

﴿إن هذا﴾ العذاب أو إن هذا الأمر هو **﴿ما كنتم به تمترون﴾** أي تشكون، أو تتمارون وتتلاجون.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾.

قرئ: **﴿في مقام﴾** بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملاً في معنى العموم، وبالضم وهو موضع الإقامة أو الأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة؛ لأنّ المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه، وهو تعريب استبر.

فإن قُلْتَ: كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي؟ **قُلْتُ:** إذا عرب خرج من أن يكون عجميًا لأن معنى التعريب أن يجعل عربيًا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب.

يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾.

﴿كذلك﴾ الكاف مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوب على مثل ذلك أثبناهم **﴿وزوجناهم﴾**، وقرأ عكرمة بحور عين على الإضافة والمعنى بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حورًا أو غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلاً وفي قراءة عبد الله بعيس عبن والعيساء البيضاء تعلوها حمرة.

---

(1) قال أحمد: لا دليل فيه لذلك، وقول أبي الدرداء محمول على إيضاح المعنى ليكون وضوح المعنى عند المتعلم عوناً، على أن ياتي بالقراءة كما انزلت على هذا حمله القاضي أبو بكر في كتاب الانتصار، وهو الوجه والله أعلم.

(2) سورة المعارج، الآية: 8.

(3) سورة البقرة، الآية: 250.

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾.

وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت.

فإن قُلْتَ: كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها[1]؟ **قُلْتُ:** اريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله: ﴿إلا الموتة الأولى﴾ موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل، فإنهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد.

فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾.

﴿فضلاً من ربك﴾ عطاء من ربك وثوابًا يعني: كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار، وقرئ فضل أي ذلك فضل.

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾.

﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ فذلك للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي: سهلناه حيث انزلناه عربيًا بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا.

فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾.

﴿فارتقب﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿انهم مرتقبون﴾ ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة حمّ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك[2]، وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورًا له[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الجاثية مكية

حمٓ ﴿١﴾.

﴿حمٓ﴾ إن جعلتها اسمًا مبتدأ مخبرًا عنه.

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾.

بـ ﴿تنزيل الكتاب﴾ لم يكن بدّ من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و﴿من الله﴾ صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ، والظرف خبرًا.

إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾.

﴿إنّ في السموات والأرض﴾ يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى: إنّ في خلق السموات.

وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾.

لقوله: ﴿وفي خلقكم﴾.

فإن قُلْتَ: علام عطف ﴿وما يبث﴾ أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف إليه **قُلْتُ:** بل على المضاف لأنّ المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد، وهذا أبوك وعمرو وكذلك إن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد، وقرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إنّ زيدًا في الدار وعمرًا في السوق أو وعمرو في السوق.

فإن قُلْتَ: العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه، فما وجه تخريج الآية عنده **قُلْتُ:** فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على إضمار في والذي حسنه تقدّم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفًا على ما قبله على التكرير ورفعها بإضمار هي.

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾.

وأمّا قوله: ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت هما إن وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في آيات وإذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف، وقرأ ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار وقرئ ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالرفع، وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية، وقرئ وتصريف الريح والمعنى إنّ المنصفين من العباد إذا نظروا في السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بدّ لها من صانع فآمنوا بالله، وأقرّوا فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف

---

(1) قال أحمد: هذا الذي نكره مبني على أنّ الموتة بدل على طريقة بني تميم المجوز فيها البدل من غير الجنس، وأما على طريقة الحجازيين فانتصبت الموتة استثناء منقطعاً، وسر اللغة التميمية بناء النفي المراد على وجه لا يبقى للسامع مطمعاً في الإثبات، فيقولون: ما فيها أحداً لا حمار، على معنى إن كان الحمار من الآحدين ففيها أحد، فيعلقون الثبوت على أمر محال حتماً بالنفي، وعليه حمل الزمخشري قل لا يعلم من في السموات والأرض= = الغيب إلا الله، أي: إن كان الله ممن في السموات والأرض ففي السموات والأرض من يعلم الغيب، فإذا نفر السامع من ثبوت الأوّل تعدت النفرة إلى ثبوت الثاني، فجزمت بالنفي، والله أعلم.

(2) أخرجه الترمذي في المصدر السابق، (الحديث رقم: 2888).

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل حَم الدخان، (الحديث رقم: 2889).